منشورات جامعة وادي النيل
مجلة النيل للآداب والعلوم الانسانية
(ISSN: 1858 – 7054)
المجلد الرابع، العدد الثاني، 2023م
http://www.nilevalley.edu.sd

بلاغة الكتابة

الامين الطيب الطاهر

كلية الاداب، جامعة وادي النيل

المؤلف: 0121435626

المستخلص

تناولت الدراسة بلاغة الكتابة, كواحدة من أنواع البلاغة المتنوعة بحسب تنوع دلالات المعاني وهي: الكلام, الإشارة, الحساب, الحال, الصمت والكتابة. وقد عرَّفت الدراسة بلاغة الكتابة بأنها: "توصيل المعني المراد إلى فهم المتلقي بدلالة الكتابة نثراً أو نظماً". وقد تناولت الدراسة هذا التعريف بالتفصيل وقفت فيه على تعريف الكتابة كدلالة وكيف نصل بها في التعبير إلى بلاغة الكتابة، ثم فصلَّت الدراسة أركان الكتابة وأقسامها مستعينة في ذلك بشواهد من القرآن الكريم والحديث الشريف والشعر العربي والنثر. وقد توصَّلت الدراسة لعدد من النتائج منها: -إنَّ بلاغة الكتابة تشترك مع بعض أنواع البلاغة في إيصال المعنى للمتلقي، -إنَّ بلاغة الكتابة أطول أثراً من بقية الدلالات. وخرجت الدراسة بعدد من التوصيات منها:- الاهتمام بالكتابة فهي الحفظ لكل الموروث العلمي والأدبي، -قيام دراسة مفصَّلة لبلاغة الكتابة بقسميها النثرية والشعرية.

كلمات مفتاحية: بلاغة الكتابة، اركان الكتابة، دلالات المعاني

Rhetoric of Writing

Elamin Eltayeb Eltahir

Faculty of Arts, Nile Valley University

Author: 0121435626

Abstract

The study dealt with rhetoric of writing as one of the various types of rhetoric speech, sign, calculation, situation, silence, and writing. The study defined the rhetoric of writing as conveying the intended meaning to the recipient's understanding with writing in prose or rhyme. The study dealt with this definition in detail, examining the definition of writing as a signifier and how to reach the eloquence of the writing through it in expression. The study then detailed the pillars and divisions of writing, using evidences from Holly Qur'an, Noble Hadith, Arabic poetry and prose. The study reached a number of results, including:- The eloquence of writing shares with some types of eloquence in conveying meaning to the recipient, -The eloquence of writing has longer impact than other meanings. The study came out with a number recommendations, including:- Interest in writing, as it is the preservation of all scientific and literary heritage, -Held a detailed study of the rhetoric of writing, both prose and poetry.

Keywords: Rhetoric of writing, pillars, signs of meanings

مشكلة الدراسة

مشكلة الدراسة تكمن في أن بلاغة الكتابة واحدة من أهم أنواع البلاغة المعروفة لها تعريفها وضوابطها وشروطها وأركانها, وهى مرحلة يصل لها منتهى التعبير بدلالة الكتابة, بعض الدارسين والطلاب يتخذها وسيلة حاملة فقط لبلاغة الكلام والحساب أو أنواع البلاغة الأخرى, فكان لابد من توضيح ذلك, ونأمل أن تسهم هذه الدراسة في حل هذه المشكلة.

أهمية الدراسة

تأتى أهمية دراسة بلاغة الكتابة, من أهمية الكتابة نفسها, فقد نسب الله تعالى فعلها لنفسه بقوله: (كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي...) (سورة المجادلة الآية 21), وقوله تعالى: (وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا...)(سورة المائدة الآية 45), ومن أهميتها أن أعظم ما جاء من الله لعباده "كتاب الله" والكتب السماوية, فلأهميتها جاءت أهمية دراسة بلاغة الكتابة للإسهام في توضيح بعض جوانبها.

منهج الدراسة

تتبع الدراسة المنهج الوصفي التحليلي.

تساؤلات الدراسة

1/ ماهي دلالة الكتابة؟

2/ ماهي مميزات دلالة الكتابة؟

3/ ماهي بلاغة الكتابة؟

4/ ما علاقة الكتابة ببقية أنواع البلاغة؟

أهداف الدراسة

1/ معرفة دلالة الكتابة.

2/ معرفة بلاغة الكتابة.

3/ معرفة مميزات بلاغة الكتابة.

4/ معرفة علاقة الكتابة ببقية أنواع البلاغة.

الدراسات السابقة

1/ دراسة بعنوان: الكتابة البليغة: عطية حسين أفندي (2023م)

وقد تحدَّث في دراسته عن الكتابة البليغة أو بلاغة الكتابة, يقول: "لما كانت الكتابة هي في الجوهر, تدويناً لفكرة لكى تنتقل من عقل لآخر, فإنَّ هذه الفكرة لن تنتقل وتصل ويتم ادراكها واستيعابها, إلا إذا كان التعبير عنها كتابة يتسم بسمات معينة, ويتوافر فيه شروط محددة تجعلها كتابة بليغة تحقق المراد من طرحها".

ويقول الكاتب: أصبحت الكتابة شرطاً أساسياً للباحث أو الكاتب لكى يتمكن من عرض أفكار وعناصر موضوعة, والمناهجية التي اتبعها والنتائج التي توصل إليها, والتوصيات التي يمكن أن يطرحها كل ذلك يجب التعبير عنه بطريقة سهلة مفهومة ومفيدة.

2/ دراسة بعنوان: نحو قراءة نصية في بلاغة القرآن والحديث: عبد الرحمن بودرع (1998م)

يعرض هذا البحث لتطبيق قواعد ونظرات من لسانيات النص وتحليل الخطاب على نصوص القرآن الكريم من خلال رؤية علماء القرآن وبلاغييه القدماء, وذلك لإخراج المعرفة اللغوية من إطارها النظري المسطور في مصنفات النحو واللغة والبلاغة إلى ميدان التطبيق على نصوص بليغة, لها قيمة وقوة إنجازية واقعية.

وعن دور البلاغة في تحليل النص تجويداً للكتابة, يقول الكاتب: أما البلاغة فهي أدخل علوم الآلة في تحليل النص, ابتداء من مقدمة الفصاحة والبلاغة, وانتهاء بأصغر فن بديعي, كل هذه وسائل وأدوات تعين على استكشاف جوهر النص.

3/ دراسة بلاغة الأمثال في كتاب مأساة الحب: لعبد الكبير محمد - نادي الأدب.NADY - ALADAB - Vol. 20 No 2 2023

بلاغة الأمثال أسلوب يتضح من خلاله الحقائق الصحيحة التي تطابق مواطن الكتابة لمقتضي الحال إذ أصبحت الأمثال مادة لنسج هذا الكتاب بالتعبير المميز والتواصل اللغوي القيم لزيادة التوضيح والتقرير والتحقيق التي أظهرتها عملية الأمثال في إثراء النص اللاحق وانتاجه الجديد... ويوصى المؤلفين بتدقيق معرفة استعمال الأمثال.

4/ البلاغة في الكتابة: بقلم: السيد مسعود (2020م).

وقد عرَّف الكلام البليغ بقوله: هو الذى يراعى فيه الكاتب مقتضى الحال، فيعرف لمن يكتب، وماذا يناسب الذى يكتب له, ويعرف متى يوجز ومتى يُطنب، ويعرف مواضع الوصل والفصل، ويُطبق كل هذه في كتاباته. وقد أورد الكاتب في دراسته ستة عناصر للبلاغة العربية.

أهم نتائج الدراسة

1/ إنَّ بلاغة الكتابة هي من أنواع البلاغة.

2/ إنَّ بلاغة الكتابة تنفرد بأن متلقيها إما حضوراً ومعاصرين, أو غائبين وغير معاصرين.

3/ إنَّ بلاغة الكتابة تشترك مع بعض أنواع البلاغة في إيصال المعنى للمتلقي.

4/ إنَّ بلاغة الكتابة أطول أثراً من بقية الدلالات.

توصيات الدراسة

1/ إجراء دراسة موسعة لدلالات المعاني وبلاغتها لإفادة الباحثين والطلاب.

2/ الاهتمام بالكتابة فهي الحفظ لكل الموروث العلمي والأدبي.

3/ ضرورة تعلم الكتابة على أصولها الصحيحة بشروطها وأركانها.

4/ قيام دراسة مفصلة لبلاغة الكتابة بقسميها النثرية والشعرية.

بلاغة الكتابة

مقدمة

اللغة العربية أشرف اللغات فهي لغة أهل الجنة في الآخرة, وحاملة أعظم كتاب لأهل الأرض في الدنيا, القرآن معجزة كل شيء, والأظهر إعجازاً في البلاغة والبيان كتابةً ورسماً.

هذا الكتاب العزيز دعا في أول ما أُنزل منه إلى القراءة, قال تعالى: (إِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ *إِقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ)(سورة القلم 1-5). أي اقرأ يا محمد "بعون الله ووحيه إليك ... وربك يعينك ويفهمك ... الذى علَّم بالقلم علم الكتابة والخط والقلم." (السمرقندي, (1993), ج3 ص598) وامتن الله سبحانه وتعالى بأنه علَّم الانسان الكتابة بالقلم, فامتنانه بشيء عظيم وهو الكتابة بالقلم, ولشرف القلم وكتابته أقسم الله تعالى به في قوله تعالى: (ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ) (سورة القلم الآية 1), بل وسُميت السورة باسمه تكريماً له, وليس بعد

قسم الله به ما يزيد القلم رفعة, ولكن النفس ترتفع وتعظم بعظمة ما تمدح, قال جعفر بن محمد رضى الله عنه: "لم أر باكياً أحسن تبسماً من القلم", وقال المأمون: "لله در القلم كيف يحوك وشي المملكة , ويقال: عقول الرجال تحت أسنة أقلامها".

قال الشاعر:

إذا افتخر الأبطال يوماً بسيفهم وعدوه مما يكسب المجد والكرم

كفى قلم الكتاب عزاً ورفعة مدى الدهر إن الله أقسم بالقلم

(الثعالبي, (1997), ج1 ص53)

وكما القسم هو شرف للقلم هو كذلك شرف للكتابة, وإن لم تُذكر فهي مفعولة, وليس للقلم وظيفة غيرها, وقد ذكرها الله تعالى وصفاً وعملاً لرسله وملائكته, قال تعالى: (...وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ) (سورة الزخرف الآية 80), (كِرَامًا كَاتِبِينَ) (سورة الانفطار الآية 11), (بِأَيْدِي سَفَرَةٍ*كِرَامٍ بَرَرَةٍ) (سورة عبس الآيات 15-16), ومبلغ الشرف للكتابة أن أضافها الله سبحانه وتعالى: (كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ)(سورة المجادلة الآية 21), (وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ)(سورة الأعراف الآية 145), (كَتَبْنَا عَلَيْهِمْفِيهَا) (سورة المائدة الآية 45).

ويزيد الكتابة أهمية أن أمر الله تعالى عباده حفاظاً على الحقوق بينهم بالكتابة قوله تعالى: (...إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ ...)(سورة البقرة الآية 282), (فَاكْتُبُوهُ) فيها دلالة على الحث على تعلم الكتابة, ويؤكد ذلك دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلَّم لتعلمها, بمفاداته لأسرى بدر بتعليم الكتابة, يقول ابن رشيق: "وفادى رسول الله صلى الله عليه وسلَّم من رأى فداءه من أسرى بدر, فمن لم يكن له فداء, أمره أن يعلم عشرة من المسلمين الكتابة, ففشت الكتابة في المدينة.) (المبرد, (1997م), ج1 ص241)

وكذلك قوله: (فَاكْتُبُوهُ) لأنَّ الكتابة تحفظ ما يُكتب, قال ثمامة: "ما أثرته الأقلام لا تطمع في دروسه الأيام." (الثعالبي, (1997), ج1 ص53) فالكتابة هي التي حفظت للناس دينهم وحقوقهم وعلمهم وأنسابهم وكل ما يهمهم, يقول: "ولولا الكتب المدونة والأخبار المخلدة, والحِكم المحفوظة التي تحصن الحساب وغير الحساب, لبطل أكثر العلم, ولغلب سلطان النسيان, سلطان الذكر." (الجاحظ, (1424), ج1 ص 37), يقول أبو هلال العسكري:

الكتب عقل شوارد الكلم والخط خيط في يد الحكم

والخط نظم كل منتثر منها وفصل كل منتظم

والسيف وهو بحيث تعرفه فرض عليه عبادة القلم

(النويري, (1423), ج7 ص14)

وبالكتابة كذلك يحفظ الناس علومهم وتأريخهم وأدبهم لذلك حرص العلماء منذ القدم على الكتابة واهتموا بتعليمها وتعلمها, يقول القلقشندي: "وقد أطنب السلف في مدح الكتابة والحث عليها فلم يتركوا شأواً لمادح حتى قال سعيد بن العاص: "من لم يكتب فيمينه يسرى", وقال معن بن زائدة: "إذا لم تكتب اليد فهي رجل", وبالغ مكحول فقال: "لا دية ليد لا تكتب."(القلقشندي, (2012), ج1 ص65)

والكتابة هي الخط على الورق أو على كل ما يُكتب عليه, والخط كما يُقال لسان اليد, قال جعفر بن يحيى: "الخط سمط الحكمة به تتفصل شذورها وينتظم منثورها."(النويري, (1423), ج7 ص 14), وتسمى الكتابة به, والقلم هو آلة

الكتابة وواضع الخط, وقد أسهب العلماء وأجاد الكتاب, وأبدع الشعراء في مدح القلم وتعداد محاسنه وأفضاله وخطه وما يكتب, يقول أبو تمام:

ذلك القـلم الأعلى الذى بثباته تصابُ من الأمر الكُلي والمَفاصلُ

لعابُ الأفـاعي القاتلات لعابه وأرى الجُنى اشتارته أيـد عـواسل

فصيح إذا استنطقته وهو راكبٌ وأعـجم إذا خـاطبته وهـو راجـل

(المهدي, (2009), ج1 ص112)

وقد اشتدت الدعوة للكتابة, فالناس يكتبون أحسن ما عندهم من معرفة في كل العلوم والفنون, جاء في كتاب المحاسن والاضداد: "قال مصعب بن الزبير: "إن الناس يتحدثون بأحسن ما يحفظون, ويحفظون أحسن ما يكتبون, ويكتبون أحسن ما يسمعون." (المهدي, (2009), ج1 ص112), وبالكتابة يُعرف علم العالم, وجودة كتب الكاتب, وحسن نظم الناظم, قال الشعبي: "أي شيء تعرف به عقل الرجل؟ قال: إذا كتب فأجاد." (ابن عبد ربه, (1401), ج4 ص256).

وقد كثرت الدعوة إلى الكتابة في عصور الدولة والخلافة الاسلامية, وذلك حفاظاً على القرآن الكريم فظهر كُتَّابالوحى, ثم كُتَّاب الأحاديث, وكتاب الخلفاء, ثم الكتاب الذين يكتبون العلوم والأدب من العلماء ونقلاً عن الأمم الأخرى, وقد اتخذ بعض الكُتاب الكتابة مهنة وصناعة وسموا بها حتى علا شأنها, يقول الشاعر:

إنَّ الكتابة رأس كل صناعة وبها تتم جوامع الأعمال

(المهدي, (2009), ج1 ص112)

ونالت صناعة الكتابة بذلك شرف كبير, يقول ابن عبد ربه: "الكتابة أول زينة الدنيا التي إليها يتناهى الفضل, وعندها تقف الرغبة."(ابن عبد ربه, (1401), ج4 ص262)

وصاحب الكتابة نال مكانة عظيمة في الخلافة وكان الكاتب من أصحاب الحظوة والمقربين في بلاط الخلافة, بل واعتبرهم البعض عمود المملكة, يقول المؤيد: "الكتابة أشرف مناصب الدنيا بعد الخلافة إليها ينتهي الفضل." (القلقشندي, (2009), ج1 ص66), ولعظم تأثير الكتابة, وأنها واحدة من أهم دلالات المعاني وأنها تستطيع أن تصل ما تحمل من معانى إلى منتهى فهم المتلقي, مكونة بلاغة الكتابة فكان لابد أن تفرد لها دراسة لنقف عليها بالتفصيل.

بلاغة الكتابة أو الخط:

تعريف بلاغة الكتابة لغة:

البلاغة في اللغة لها عدة معانى فهي تعنى الكفاية, وتعنى الشيء الجيد, يقول الفراهيدي: "بلغ: رجلٌ بلغٌ, وقد بَلغ بلاغة, وبلغ الشيء يَبلُغُ بَلُوغاً, وأبْلَغتُهُ إبلاغاً, وبلَّغته تبليغاً في الرسالة ونحوها, وفى كذا بلاغٌ وتبليغ أي كفاية, وشيء بالغ أي جديد, والمبالغة أن تبلغ من العمل جهدك." (الفراهيدي ج4 ص 421).

والبلاغة تعنى الإدراك والمقاربة والمشارفة والوصول, يقول الجوهري: "بلغت المكان بلوغاً: وصلت إليه, وكذلك إذا شارفت عليه, ومنه قوله تعالى: (فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ...) أي قاربنه". (الجوهري, (1987م), ج4 ص1316).

والبلاغة تعنى والوصول والانتهاء, يقول ابن منظور: "بلغ الشيء يبلغ بلوغاً وبلاغاً, وصل وانتهى". (ابن منظور, (1414ه), ج8 ص 419).

الكتابة لغة:

كتب تعنى جمع, بقول النويري: "أصل الكتابة مشتق من الكتب وهو الجمع ومنه سمى الكتاب لأنه يجمع الحروف, وسُميت الكتبة كتيبة لأنها تجمع الجيش." (النويري, (1423هـ), ج7 ص1)

وجاء في جمهرة اللغة: "كتب: وقد كتب الكتاب يكتبُهُ كتباً إذا جمع حُرُوفه, وأصل الكتب ضمك الشيء إلى الشيء, وكتبت الكتيبة إذا ضممت بعض أهلها إلى بعض." (ابن دريد, (1987م), ج1 ص 256)

والكتابة تعنى الفرض والحكم, يقول الجوهري: "كتب: الكتاب معروف والجمع كُتْبٌ وكتب, وقد كتبت كَتيْباً وكِتاباً وكتَابةً, والكتاب: الفرض والحُكمُ والقدر, والكاتب عندهم العالم". (الجوهري, (1987م), ج1 ص 28)

وكتب خطَّ وكِتْبَةً بالكسر (خطَّه), يقول مرتضي الزبيدي: "وكذا كتابةٌ وكِتبةٌ بالكسر فيها, (خَطهُ), قال أبو النجم:

أقبلت من عند زياد بالحرف

تخط رجلاها بخط مختلف

تكتبان في الطريق لام ألف"

(الزبيدي,(2019),ج1 ص 101)

الخطُّ لغة:

الخطّ هو الكتابة بالقلم, يقول مرتضي الزبيدي: "الخطُّ: الكَتْبُ بالقلم, خطَّ الشيء يَخُطَّه خطاً, كَتبهُ بقلم, أو غيره, قال أمرؤ القيس:

لمن طَلَلٌ أبصرته فَشَجاني كخطِّ الزّبور في عسيب يمان

(الزبيدي,(2019),ج19 ص 248)

والخط المكان الذى يختاره لنفسه: خطَّ الشيء بيده يخطه خطاً إذا خطه بقلم أو غيره والخط المكان الذى يخطه الانسان لنفسه أو بخطته." (ابن دريد, (1987م), ج1 ص 106)

والخط هو الكتابة باليد: يقول الزمخشري: "خطَّ الكتاب يخطه, "ولا تخطه بيمينك", وكتاب مخطوط, اختط لنفسه داراً إذا ضرب لها حدوداً ليعلم أنها له." (الزمخشري: (1998م), ج1 ص 106)

تعريف البلاغة اصطلاحاً:

وردت للبلاغة تعريفات كثيرة في كتب اللغة القديمة وكتب البلاغة المتخصصة في العصر الحديث, ومن هذه التعريفات ما جاء في البيان والتبيين حيث يقول: "قيل للهندي: ما البلاغة؟ قال: وضوح الدلالة وانتهاز الفرضة وحسن الاشارة. وقال بعض أهل الهند: جماع البلاغة البصر بالحجة والمعرفة بمواضع الفرصة." (الجاحظ,(1423),ج1 ص 91)

ويقول الجاحظ: "قيل لعمرو بن عبيد: ما البلاغة؟ قال: ما بلغ بك الجنة وعدل بك عن النار, وما بصرك بمواقع رشدك وعواقب غيك". (الجاحظ, (1423),ج1 ص 112)

ومن معانى البلاغة, ما أورده ابن عبد ربه في كتابه بقوله: "قيل لجالينوس: ما البلاغة؟ فقال: ايضاح المعضل وفك المشكل, وقيل لإبراهيم الامام: ما البلاغة؟ فقال الجزالة والاصابة." (ابن عبد ربه,(1401),ج4 ص 273)

ومن أوسع تعريفات البلاغة ما أورده الخطيب القزويني بقوله: "يرى العتابي أنَّ كل ما أفهمك حاجته فهو بليغ." (القزويني,(1971),ج1 ص167)

الكتابة اصطلاحاً:

ظهرت الكتابة قديماً, وقد وجدت لها آثار في العصر الجاهلي, بل وسُمى بعض الجاهليين بأسماء تدل على معرفتهم للكتابة, مثل الشاعر المرقش الأكبر, وهي تعنى الكاتب في اللغة, يقول الفراهيدي: "والترقيش الكتابة, ورَقّشْتُ الكتاب: كتبته, قال مُرَقّشٌ:

الدهر قفر والرسوم كما رقشت ظهر الأديم قلم

(الفراهيدي,ج5 ص 40)

ومن آثار الكتابة في الجاهلية, ذكر القلم كثيراً وهو آلة الكتابة, كقول لبيد:

وجلاء السيوف عن الطلول كأنها زبر تجد متونها أقلامها

(ربيعة,(1999), ص 108)

وقد تناثر تعريف الكتابة في ثنايا الكتب والمؤلفات, ومن التعريفات الحديثة قول عمر الدسوقي: "الكتابة صناعة يُراد بها التعبير عن الخواطر المراد ايضاحها, وهو الانشاء, والوضع الذى يبدؤ به ذلك الايضاح وهو البيان, والكيفية التي تحصل بها ذلك وهو الاسلوب." (الدسوقي, (2000م), ج1 ص 13)

والكتابة بوصفها جنساً تعبيرياً وأنها وسيلة التبيين في الكتب, تعتبر واحدة من دلالات المعانى التي ذُكرت في كتب البلاغة, وتبعه عدد من العلماء منهم السيد الهاشمي, حيث يقول: "والذى يدل على المعانى خمسة أشياء اللفظ والاشارة والكتابة والعقد والحال" (الهاشمي,(1999) ,ص 47) وقد أتمها البعض ستاً وذلك بذكر دلالة الصمت وإن لم يذكرها الجاحظ في كتابه "البيان والتبيين" ولكن تحدث عنها في كتابه "الرسائل الأدبية" حيث يقول مفضله في بعض المواضع على الكلام: "أعلم أن الصمت في موضعه ربما كان أنفع من الابلاغ بالمنطق في موضعه, وعند اصابة فرصته." (الجاحظ, (1423ه), ص 79)

وبذلك تكون دلالات المعانى ست:

دلالة الكلام أواللفظ.

دلالة الاشارة.

دلالة الحساب أو العقد.

دلالة النصبة أو الحال.

دلالة الصمت أو السكوت.

دلالة الكتابة أو الخط.

والتعبير بهذه الدلالات المقصود به ايصال المعنى من صاحبه إلى المتلقي, وبما أن البلاغة هي الوصول بالمعنى إلى منتهى فهم المتلقي, فالتعبير بأيّ من هذه الدلالات عندما يصل إلى منتهى فهم المتلقي وقرارة نفسه, تكون هذه بلاغة الدلالة, لنرى بعد ذلك ستة أنواع للبلاغة هي:

بلاغة الكلام أواللفظ.

بلاغة الاشارة.

بلاغة الحساب أو العقد.

بلاغة النصبة أو الحال.

بلاغة الصمت أو السكوت.

بلاغة الكتابة أو الخط.

وهذ البلاغة الأخيرة "بلاغة الكتابة أو الخط" هي ما سنتناوله بالتفصيل في هذه الدراسة.

والكتابة هي جزء من الخط, لأنَّ الخط يشمل كل ما يحدثه القلم سواء كان له معنى أو ليس له معنى, سواء كان مقصوداً أو غير مقصود, أما الكتابة فهي ما يخطه القلم مقصوداً دالاً على معنى متعارف عليه, إذن الكتابة جزء من الخط, فكل كتابة خط, لكن ليس كل خط كتابة, لذلك يمكن أن نقول بلاغة الخط لأنه أشمل, ونقول بلاغة الكتابة لأنها أدق.

وبعد دراسة التعريفات الكثيرة للبلاغة وتعريفات الكتابة أوالخط, وتعريف أنواع البلاغة, يمكن أن تُعرَّف بلاغة الكتابة بأنها: "توصيل المعنى المراد إلى منتهى فهم المتلقي بدلالة الكتابة نثراً أو نظماً." وسنتناول هذا التعريف بالتفصيل والشرح.

قول التعريف: "توصيل المعنى المراد..."

أي توصيل المعنى الذى يقصده في نفسه, والمعنى حبيس في النفس لا يستطيع أن يعرفه الآخرون, إلا إذا أخرجه لهم وعبر لهم عما في نفسه بشيء محسوس يروه أو يسمعوه يقول أبو البقاء الحنفي: "ومن أراد أن يأمر أو يُنهي أو يُخبر أو يستخبر أو يُنادى يجد في نفسه قبل التلفظ معناه ثم يُعبر عنه بلفظ أو كتابة أو اشارة وذلك الكلام هو الكلام النفسي, وما يُعبر به هو الكلام الحسي." (أبو البقاء, (1419), ص419)

فالأمر والنهى والاخبار وغيرها كلها معانى في نفس صاحبها, توصيلها أو الدلالة عليها بواحدة من دلالات المعانى المعروفة. أو هو الصورة الذهنية المراد توصيلها, يقول أبو البقاء: "كما إن المعنى هو الصورة الذهنية من حيث وضع بإزائها الالفاظ." (أبو البقاء,(1419),ص 460)

وإلى نفس المعنى ذهب أبو حيان التوحيدي حيث يقول: "المعانى هي الهاجسة في النفوس المتصلة بالخواطر, والألفاظ ترجمة للمعانى." (التوحيدي, (1988م), ج1 ص 174)

ولتخرج الصورة من الذهن وتصل إلى المتلقي, يمكن أن يكون التوصيل بالألفاظ أو بأي دلالة أخرى, يقول حازم القرطاجني: "إن المعاني هي الصورة الحاصلة في الأذهان, فإذا عُبر عن تلك الصورة الذهنية في أفهام السامعين وأذهانهم, صار للمعنى وجود آخر." (القرطاجني,ص 4)

ومثال كلام النفس والمعانى التي لا تعرف إلا إذا أخرجها صاحبها, ما ذكر في قصة أبى نواس التي تقول:"قال اسحاق التمار رأيت أبا نواس فيما يرى النائم فقلت ما فعل الله بك قال غفر لي فأنكرت ذلك فقلت ألست أبا نواس, قال نعم غفر لي ربي بأبيات قلتها وهي في البيت تحت رأسي فقال فبكرت إلى ابنه فسألته عن الرقعة فأدخلني الدار فرفعت الحصير فإذا رقعة مكتوب فيها بخطه:

يا ربي إن عظمت ذنوبي كثرة فقلد علمت أن عفوك أعظم
إن كان لا يرجوك إلا محسن فمن الذى يدعو ويرجو المجرم
ما لي إليك وسيلة إلا الرجا وجميل ظني ثم إني مسلم
أدعوك رب كما أمرت تضرعاً فإذا رددت يدي فمن ذا يرحم"

(الهروي, (1421), ج2 ص 444)

هذه المعانى كانت في نفس أبي نواس وما كان الناس يظنوها فيه, حتى عندما أري صاحبه مصيره بعد الموت أنكر صاحبه ذلك, ولم يصدقوا إلا عندما وجدوه أخرج هذه المعانىعن قصد وأوصلها للناس مكتوبة وقبل دعا بها الله ربه ليغفر له.

قول التعريف: "...إلى منتهى فهم المتلقي..."

الكتابة واحدة من دلالات المعانى بها يصل المعنى من صاحبه إلى المتلقي, مثل ما روى ابن الأبار في كتابه حيث قال: "إن عمر وجد في كتاب لأبي موسى الأشعري لحناً - من أبو موسى - فكتب إليه عمر أن أضربه خمسين سوطاً وأعزله عن عملك." (القضاعي, (1961م), ص126)

فهذا الأمر المكتوب من عمر رضى الله عنه إلى واليه أبو موسى الأشعري فيه دلالة على المعنى الذى يريده عمر رضى الله عنه بأن هذا الكاتب الذى يلحن يستحق الجلد ولا يمكن أن يكون هو كاتب الوالى.

وبهذه الكتابة يمكن أن تصل بالمعنى إلى منتهى فهم المتلقي لتصل إلى بلاغة الكتابة, وذلك كقول أبي بكر الصولي: "كان ابني قادم مع اسحاق بن ابراهيم المصعبي فكتب كاتبه ميمون بن ابراهيم إلى المأمون كتاباً فيه: "وهذا المال مالا يجب على فلان" فخط المأمون على "مالاً" ووقع بخطه في حاشية الكتاب: أتكاتبني بلحن يا اسحاق؟ فاشتد ذلك عليه.". (الصولي, (1341ه), ص 129)

كتابه المأمون إلى اسحاق بتوقيعه في حاشية الخطاب, هذا التوقيع وصل إلى قرارة فهم المقصود, لذلك اشتد عليه الأمر, وبلاغة الكتابة أو الخطاب جاءت باستخدام الاستفهام الاستنكاري في التوقيع.

وبلاغة الكتابة أن تصل بالمعنى إلى منتهى فهم المتلقي, والمتلقي في كل دلالات المعاني سواء كانت لفظاً أو إشارة أو حال أو حساب أو حتى الصمت حاضراً, فإذا أردت أن توصل معناك بدلالة اللفظ فلابد أن يكون من تكلمهأمامك أو يسمعك وإذا كانت دلالتك الاشارة فلابد من تريد أن توصل له المعنى أن يرى اشارتك وهكذا بقية دلالات المعانى, عدا دلالة الكتابة, وهذا ما يميزها عن بقية الدلالات متلقيها حاضراً وغائباً, فهي توصل المعنى إلى الموجود كبقية الدلالات, وإلى الغائب, إما غائب بعيد فتكون الكتابة خير دلالة لإيصال المعنى, وذلك مثل قول عبد الرحمن الألوسيقال: "سمعت عبد الله بن قتيبة يقول: كتب إليّ رجل من سر من رأي: قد قرأت كتابك المترجم بكتاب الكتاب وقد أعبت عليك فيه حرفاً, فكتبت إليه: وصل كتابك وفهمته, وقد عبت عليك قولك: وأعبت عليك والسلام." (الصولى, (1341ه), ص 130)

فهذا الكلام فيه بلاغة كتابة, حيث استخدام ابن قتيبة نفس الكلام بنفس الدلالة, الرجل يعيب على ابن قتيبة خطأ في الكتابة وابن قتيبة يرد عليه رداً كتابياً بليغاً مفعماً. هذه كتابة لحاضر ومعاصر, أما الكتابة لغائب ولغير المعاصر منه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مطرف بن الكاهن الباهلي وفيه: "من محمد رسول الله لمطرِّف بن الكاهن ولمن سكن بجهته من باهلة: إن من أحيا أرضاً مواتاً فيها مراح من الأنعام فهي له, وعليه في كل ثلاثين من البقر فارض, وفي كل أربعين من الأغنام عتود, وفي كل خمسين من الأبل مسنة." (الصالحي, (1993م), ج6 ص 278) فهذا الكتاب من رسول الله صلى الله عليه وسلَّم إلى مطرِّف الباهلي فهو المقصود به, وأيضاً هو حكم عام لكل المسلمين في أي زمان ومكان, حتى زماننا هذا وبلدنا هذا.

وبهذا يتضح أن الكتابة متلقيها والمقصود بالمعنى المراد القريب والبعيد, والحاضر والغائب والمعاصر واللاحق.

قول التعريف: "...بدلالة الكتابة..."

ودلالة الكتابة هي أن يُعبِّر الانسان عما يريد بالكتابة كأن تكتب إلى صديقك في قاعة الدرس: "أعطني قلماً لو سمحت", ومثلها المكاتبات الرسمية والحكومية, والمكاتبات بين الناس لطلب أمر, أو نهى عن أمر أو غيرها من المعانى المقصودة التي يريد صاحبها اخبار المتلقي بها.

وهذه الرسائل والمكاتبات منها ما يصل إلى منتهى فهم المتلقي لتصل إلى درجة بلاغة الكتابة, كرسالة نبي الله سليمان عليه السلام والتي نقلها القرآن الكريم, قوله تعالى: (اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ (28) قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ (29) إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (30) أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (31)) (سورة النمل 28, 29, 30, 31)

والكتاب مع أنه كريم كما وصفته ملكة سبأ - هو في قمة البلاغة, فهو أول كتاب يبدأ بـ "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ" البسملة كاملة, وأن كان سبقته البداية بـ "باسمك اللهم". ثم نزلت قوله تعالى: (بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا) (هود 41), فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم في خطاباته بعدها "بسم الله", ثم نزلت (قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ...) (الاسراء 110), كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها "بسم الله الرحمن", وعندما جاءت هذه الآية تحمل كتاب سليمان عليه السلام, كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ" فأصبحت سنة المسلمين.

ونصَّ كتاب سليمان والمراد منهلملكة سبأ نهى وأمر للملكة ومملكتها "أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ""وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ" أي مسلمين مذعنين منقادين طائعين. أقوى نهى وأعظم طلب من ملكة "وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ) بأقل كلمات, وكما قال بعض علماء البلاغة تعنى الايجاز.

والكتابة تأتى في أقل درجات التعبير بها, دلالة على المراد ويرتفع التعبير ليصل إلى مرحلة البلاغة ويسمو ليكون الاعجاز في كتاب الله

وبلاغة الكتابة لابد أن ينطبق على الكلام المكتوب شروط بلاغة الكلام, ومن شروط بلاغة الكلام, أن يكون فصيحاً, أي تنطبق فيه شروط فصاحة الكلمة بخلوها من عيوب فصاحة الكلمة الأربعة المعروفة وهى:

- تنافر الحروف: الذى يؤدى إلى ثِقل في الكلمات على اللسان والسامع.
- غرابة الاستعمال: وهى أن يكون معنى الكلمة غير ظاهراً ولا استعمالها مألوفاً.
- مخالفة القياس: وهى أن تكون الكلمة على غير قياس العرب في لغتهم.
- الكراهة في السمع: وهى أن تكون أصوات الكلمة منكرة يكرهها السمع.

ويكون الكلام فصيحاً بخلوه من عيوب فصاحة الكلام السبعة وهى:

- تنافر الكلمات مجتمعة: وهو أن يكون نطق الكلمات مع بعضها البعض ثقيلة على اللسان.
- ضعف التأليف: وهو أن يكون الكلام في تأليفه وتركيبه غير جارياً على المشهور من قوانين النحو المعروفة عند العرب.
- التعقيد اللفظي: وهو أن يختل ترتيب الكلمات في الجمل ولا يأتي حسب ترتيب المعانى المرادة.
- التعقيد المعنوي: وهو أن يأتي بكلام دالاً على معنى ظاهر, وهو يقصد به معنى آخر يصعب الانتقال من المعنى الأَّول إلى المعنى الثاني على المتلقي.
- التعقيد الوصفي: وهو اطلاق وصف على موصوف لا يكون له لا عقلاً ولا عادة.
- تتابع الاضافات: وهو أن يكون الكلام فيه اضافات متداخلة.
- كثرة التكرار: وهو أن يأتي في الكلام تكرار كثير بدون فائدة.

ومع خلو الكلام المكتوب من كل هذه العيوب للفصاحة حتى يكون بليغاً لابد فيه من مطابقة مقتضى الحال, يقول القزويني: "وأما بلاغة الكلام فهي مطابقته لما يقتضيه الحال." (القزويني, (1971),ج1 ص41)

ومقتضى الحال وصفه الهاشمي يقوله: "هو ما يدعو إليه الأمر الواقع, أي: ما يستلزمه مقام الكلام وأحوال المخاطب من التكلم على وجه مخصوص ولن يطابق الحال إلا إذا كان وقف عقول المخاطبين واعتبار طبقاتهم في البلاغة." (الهاشمي, (1991) , ص 40)

فإن اتفقت بلاغة الكتابة مع بلاغة الكلام في شرط الفصاحة, فلا يتفقان في شرط مراعاة مقتضى الحال, فإن شرط مقتضى الحال في بلاغة الكتابة ليس هو كما في بلاغة الكلام.

مقتضى الحال في بلاغة الكتابة ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: أن تكون الكتابة مخصوصة, وذلك بأن يكون المكتوب موجه لشخص بعينه أو مجموعة بعينها, في موضوع محدد, ففي هذه الحالة يجب مراعاة مقتضى الحال, أي: مراعاة الأمر الداعي الكاتب إلى إيراد كتابه بصورة مخصوصة, ومراعاة الشخص المخصوص بالمكتوب له, وذلك حتى توصل الكتابة المعنى الذى تحمله إلى قرارة فهم المتلقي.

ومثال على ذلك كتابة السلطان محمد عدلان سلطان الفونج رداً على اسماعيل بن محمد على قائد الجيش التركي المصري للخليفة العثماني محمود الثاني (1820-1848م) ووالية على مصر محمد على باشا الأول (1876-1848م) لاحتلال السودان طالباً من الملك عدلان الاستسلام فرد قائلاً: "أما بلغك أن سنار محروسة محمية, بصوارم قواطع هندية, وخيول جرد أدهمية, ورجال صابرين على القتال بكرة وعشية؟ (الزيات, (1940),ج547 ص 29)

ففي هذه الرسالة الكتابة مخصوصة لشخص بعينه يعرفه الكاتب, والأمر الداعي للكتابة هو تهديد قائد الجيش المحتل بالدخول عنوة لسنار العاصمة أو الاستسلام فجاءت الكتابة من الملك محمد عدلان مراعية الحال والمقام.

مثله ما كتبه أبو العتاهية من محبسه إلى الخليفة الرشيد يقول:

أنـا اليـوم لى والحـمد له أشـهر يـروح علىَّ الغم منك ويبكر
تـذكر أمين الله حقي وحـرمتي ومـا كنت توليني لعلك تذكر
لياليَّ تدنو منك بالقـرب مجلسي ووجهك من ماء البشاشة يقطر
فمن لي بالعين التي قد كنت مرة إلىَّ بها من سالف الدهر تنظر

(الحصري, (1953),ج2 ص384)

ففي هذه الأبيات التي كتبها الشاعر أبو العتاهية وهو محبوس أرسلها إلى الخليفة الرشيد, فيها مراعاة مقتضى الحال, بمراعاة حال المخاطب, ومراعاة الموضوع الذى من أجله كتب الأبيات وهو الاسترحام كي يخرجه من محبسه.

وربما تكون الكتابة أو الكلام مقصوداً بها الشاهد الحاضر والغائب وغير المعاصر, وليس أدَّل على ذلك مما جاء في بعض آيات القرآن الكريم, فقد خاطب الحاضر في عصره الغائب في العصور اللاحقة, ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ...) (سورة الحجرات 11)

يقول السمرقندي: "يعنى لا يستهزئ الرجل من أخيه, وقال بعضهم: الآية نزلت في ثابت بن قيس, حيث عيَّر الذى لم يوسع له في المكان, وقال بعضهم الآية نزلت في الذين ينادونه من وراء الحجرات استهزءوا من ضعفاء المسلمين, عسى أن

يكونوا خيراً منهم: يعنى أفضل منهم وأكرم على الله تعالى, ولا نساءٌ من نساء يعنى: لا تستهزئ امرأة من امرأة, وذلك إن عائشة رضى الله عنها قالت: أم سلمة جميلة لولا أنها قصيرة, عسى أن يكن خيراً منهن يعنى: أفضل, ثم صارت الآية عامة في الرجال والنساء." (السمرقندي, (1993),ج3 ص 327)

فإن الكلام هنا يناسب نزوله كلام ثابت بن قيس وكلام عائشة رضى الله عنها, فهو لهما ولعامة المؤمنين وفي زمان ومكان مقتضى الحال, هو سبب النزول ويكون في كل زمان ومكان تقال في موطن أن مقتضى حال يشبه سبب النزول.

القسم الثاني: أن تكون الكتابة عامة ليست مخصصة لشخص بعينه أو مجموعة بعينها.

وذلك مثل قول ابن المقفع في رسالته "بالدرة اليتيمة" يقول: "لا تخلطن بالجد هزلاً فتسحته, ولا بالهزل جداً فتكدّره, وقد عرفت لذلك موضعاً إن فعلته أصبت الرأي وظهرت على الأقران, وذلك أن يتورَّدك متورّد بالسفة والغضب وسوء اللفظ فتجيبه إجابة الهازل المداعب, برحب من الذّرع, وطلاقة من الوجه, وثبات في المنطق." (حمدون, (1417), ج1 ص380)

ففي هذا القسم من الكتابة الكاتب لا يوجه كتابه لشخص بعينه, وإنما هي كتابة لأي شخص في أيّ زمان وصله, وأيّ مكان بلغه, لذلك الكاتب لا يتقيد بحال معينة, ولذلك لا مقتضى حال له, لأنه ليس هناك أمر حمل الكاتب على الكتابة, وإنما فقط يجب عليه مراعاة تماسك ووحدة الموضوع وبقية شروط وأركان الكتابة.

أركان الكتابة:

تحدَّث كثير من العلماء في كتبهم عن أركان الكتابة وشروطها وضوابطها, وأطلقوا عليها أسماء مختلفة وبعضهم من عداها أربعاً ومنهم من زاد مفصلاً, فذكر عدداً كثير نذكر منها:

أولاً: أن يحسن الكاتب استهلال كتابه وهو ما يسميه بعض العلماء براعة الاستهلال, وقد سماه ابن المعتز "حسن الابتداء", جاء في كتاب البديع لابن المعتز: "حسن الابتداء تسمية ابن المعتز, وأراد بها ابتداء القصائد ... وقد ذكر ارسطو أنه يحسن في صدر الخطب الاشارة إلى الغرض المقصود... وذكر ابن المقفع إنه يجب أن يكون في صدر كلامك دليل على حاجتك." (المعتز, (1990م), ص 43)

وكلام أرسطو وكلام ابن المقفع يشترك فيه مع الكلام والخطب الكلام المنطوق والمكتوب, ويقول القلقشندي في حسن الابتداء: "أن يأتي في صدر المكاتبة بما يدل على عجزها فإن كان الكتاب بفتحٍ أتى في أوله بما يدل على التهنئة, أو التعزية أتى في أوله بما يدل على التعزية, وإنكان في غير ذلك أتى بما يدل عليه ليعلم من مبدأ الكتاب ما المراد منه." (القلقشندي, (2012), ج6 ص 265)

ومن براعة الاستهلال ما كتبه أبو اسحاق الصابي عن الطائع في بعض ولاة الأطراف عند زوال الخلاف بينه وبين الأمراء وأتما الصلح بينهما يقول: "أما بعد, فالحمد لله ناظم الشمل, بعد شتاته, وواصل الحبل, بعد بتاته, وجابر الوهن إذا انثلم, وكاشف الخطب إذا أظلم." (القلقشندي, (2012), ج6 ص 266)

ثانياً: أن يأتي في كتابه بمقدمة يؤسس فيها لما يحمله مكتوبه.

أي على الكاتب أن يقدم لما يتناوله في مكتوبه بمقدمة تهيئ المتلقي له, وذلك بذكر آيات من القرآن الكريم, أو حديث شريف يؤيد ما يريد أن يكتبه, يقول القلقشندي: "إنه لا يحسن بالمكاتب أن يخلى كلامه, وإن كان وجيزاً من مقدمة يفتتحه بها, وإن وقعت في حرفين أو ثلاثة ليوفي التأليف حقه." (القلقشندي, (2012), ج6 ص 268)

فإذا أراد الكاتب أن يكتب عن رمضانفلابد أن يهيئ المتلقي بمقدمة يذكر فيها الآيات الدالة على فرض الصيام, والصيام كان في الأمم السابقة مثل قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) البقرة 183. هذه الآية من يقرأها يعرف المكتوب يتحدث عن صيام شهر رمضان.

ثالثاً: إن كانت الكتابة مخصوصة لشخص أو مجموعة يجب على الكاتب أن يعرف مقدار فهم المتلقيين, ويعرف الالفاظ المستعملة حتى يضعها في مواضعها, ويرتبها حتى يخاطب كلاً بما يستحق فلا ينزل بعالٍ ولا يصعد بدانٍ. يقول أبو هلال العسكري: "أو ما ينبغي أن تستعمل في كتابك مكاتبة كل فريق على مقدار طبقتهم في الكلام وقوتهم في المنطق, قال والشاهد على ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم أرادأن يكتب لأهل فارس, كتب إليهم بما يمكنهم من ترجمته, فكتب إليهم: "من محمد رسول الله إلى كسرى ابرويز عظيم فارس: سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله, وأدعوك بدعاية الله, فإني أنا رسول الله إلى الناس كافة لينذر من كان حيًا ويحق القول على الكافرين فأسلم تسلم, وإن أبيت فإثم المجوس عليك." (القلقشندي, (2012), ج6 ص 284)

فكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عظيم فارس فيه حفظ لمكانته بأن خاطبه بـ" عظيم فارس", وفيه تسهيل للألفاظ ووضوح في المعنى, حيث يسهل ترجمتها له. ومن رسائله صلى الله عليه وسلم ما كتبه لمسيلمة الكذَّاب بقوله: "من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذَّاب, سلام على من اتبع الهدى, أما بعد: فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين." (شبة, (1399), ج2 ص 572) فخاطبه صلى الله عليه وسلم بما يليق له "الكذاب" وفي المكتوب أن الأرض لله, وأنت تعرف من المتقين!!

رابعاً: أن يعرف الكاتب مواضع الشاهد والمثل, والاقتباس, والدعاء, ومواضع الخبر والانشاء وغيرها مما لا يحسن المكتوب إلا به.

خامساً: أن تكون معانى الكاتب متسلسلة مترابطة ليخرج المكتوب محكم متماسك, وإلاّ فأيّ انقطاع في التسلسل سيخرج منه المتلقي.

سادساً: أن يلتزم الكاتب ببراعة الختام, يقول داود الحلبى: "وأما براعة الختام, وهو الذى سماه التيفاشي حسن المقطع, وسماه ابن ابا الاصبع الختام, وسماه صاحب التلخيص حسن الانتهاء, فهو عندهم عبارة عن أن يختم المنشئ انشائه بأحسن كلام يحسن السكوت عليه." (داود, (1304), ص 91)

ومن براعة الختام قول أبي نواس:

وإني جدير إذا بلغتك بالمني وأنت بما أملت منك جدير

فإن تولني منك الجميل فأهله وإلاّ فإني عاذر وشكور

(داود, (1304), ص 91)

ومن الاعجاز في براعة الختام ما جاء في خواتيم السور يقول على خان: "تأمل سائر خواتيم السور تجدها في نهاية الكمال ... خاتمة سورة الزمر قوله تعالى: (وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ), وأما خاتمة سورة الصافات فإنها العلم في براعة الختام, وهى قوله تعالى: (سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ

الْعَالَمِينَ)." (على خان, (1119ه), ص 512) وختام سورة الصافات لإعجازه صار ختام كل حديث ذي بال. ونختتم به أركان الكتابة.

ما يحتاجه الكاتب:

والكاتب لكى يحسن الكتابة ويصعد في مدارجها, لابد له من آلات تعينه, وزاد يتقوى به, ومخزون معرفي يستند عليه, يقول اين الأثير: "أعلم أن صناعة تأليف الكلام من المنظوم والمنثور, تفتقر إلى آلات كثيرة, وقد قيل ينبغي للكاتب أن يتعلق بكل علم, حتى قيل, كل ذي علم يسوغ له أن ينسب نفسه إليه, فيقال: فلان النحوي, وفلان الفقيه, وفلان المتكلم, ولا يسوغ له أن ينسب نفسه إلى الكتابة, فيقال: فلان الكاتب, وذلك لما يفتقر إليه من الخوض في كل فن, وملاك هذه كله الطبع, فإنه إذا بم يكن ثم طبع فإنه لا تغنى تلك الآلات شيئاً." (بن الاثير, (1420), ج1 ص38)

ولكى يجمع الكاتب هذه الآلات والزاد في يده لابد من أن يمسك بناصية اللغة بكل أقسامها, ويعرف ضروب التعبير فيها وأساليبها, وكذلك عليه الاطلاع على كتابات المتقدمين ليعرف طرقهم في الكتابة وكيفية التفنن فيها, وأن يعرف تاريخ الأمم والأخبار, ورأس ذلك وسنامه حفظ القرآن, يقول ابن الاثير في أهمية القرآن لمن أراد الكتابة: "ألا إن رأسها وعمودها وذروة سنامها ثلاثة أشياء هي: حفظ القرآن الكريم, والاكثار من حفظ الأخبار النبوية, والأشعار." (ابن الاثير, (1420), ج1 ص 93)

قول التعريف: "... نثراً أو نظماً"

المعروف أن التعبير بالكتابة إما أن يكون نثراً وهو الكلام الذى لم ينظم في أوزان وقوافي. وإما أن يكون شعراً, وهو الكلام الموزون المقفى. والذى يريده التعريف أن بلاغة الكتابة تصل بالمعنى إلى منتهى فهم المتلقي بنوعي الكتابة ,النثر والشعر, والشعر أكثر من النثر فإن معظم ما وصل من موروث العصر الجاهلي كان شعراً, يقول ابن الاثير: "إن الأشعار أكثر والمعانى فيها أغزر, وسبب ذلك أن العرب الذين هم أصل الفصاحة جل كلامهم شعر, ولا نجد الكلام المنثور في كلامهم إلا يسيراً فأودعوا أشعارهم كل المعانى." (ابن الاثير, (1420), ج1 ص 99)

أما النثر فقد قسمه العلماء إلى تقسيماتمتعددة, يقول شوقي ضيف: "وهو على ضربين: أما الضرب الأول: فهو النثر العادي يقال في لغة التخاطب ,وأما الضرب الثاني: فهو النثر الذي يرتفع فيه أصحابه إلى لغة فيها فن ومهارة وبلاغة, وهذا الضرب هو الذى يعنى به النقاد... ويسميه بعض الباحثين باسم النثر الفنى." (ضيف, (2018), ص 15)

وفي تقسيم آخر للنثر يقول القلقشندي, ذاكراً فنوناً من الكتابة يتداولها الكتاب وفيها بابان": الأول في الجدّيات ومنها المقامات والرسائل وما يكتب عن العلماء وأهل الأدب. والثاني: في الهزليات ومنها ما اعتنى به الملوك ببعضه ومنها سائر أنواع الهزل." (القلقشندي, (2012), ج1 ص24)

فمن تقسيم شوقي ضيف ذكر الكتابة الفنية أو هي النثر الفني, وهو الكتابة بمراعاة مطلوبات وأركان الكتابة في كل أنواع النثر, وإن كانت تختلف في مقتضى الحال, فمقتضى حال المدح غير مقتضى حال الهجاء, يقول المنفلوطي: "إن لكل نوع من أنواع العلوم والفنون طريقاً في الكتابة خاصاً به لا يفارقه إلى غيره ولا يشركه فيه سواه, وإن الاعتقاد غير الهجاء, والهجاء غير التهكم, والتهكم غير التأنيب..." (المنفلوطي, (1982), ج2 ص 152)

وهذه بعض نماذج النثر:

1/ ما قيل في التهديد:

"كتب المعتصم إلى ملك الروم جواباً عن كتاب تهدَّده فيه: الجواب ما ترى ما لا تسمع, (وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ...)(النويري, (1423), ج7 ص10)

2/ ما قيل في الاستعطاف:

كتب عمرو بن مسعده إلى المأمون كتاباً يستعطفه على الجند يقول: "كتابي إلى أمير المؤمنين, ومن قبلي من أجناده وقواده في الطاعة والانقياد على أحسن ما تكون عليه طاعة جند تأخرت أرزاقهم واختلت أحوالهم." فقال المأمون: "والله لأقضين حق هذا الكلام", وأمر بإعطائهم رزق لثمانية أشهر." (النويري, (1423), ج7 ص 260)

3/ ما قيل في طلب العفو:

جاء في كتاب التذكرة الحمدونية: "وجد حماد ان ابى سليمان استاذ أبى حنيفة زلة كانت منه إليه, فأظهر الإعراض عنه, فكتب إليه أبو حنيفة رقعة يقول فيها: "من كان ذنبه إلى الكرام, والعفو عنه في أيدى الصالحين وتوبته إلى الرحماء, وجنايته إلى الحكماء, كان حرياً بالسلامة وجديراً بالتخلص من الملامة, وكان ذلك من سعادة جده ومن التوفيق الذى لا يسلمه إلى أشد عاقبة أمره." فلما قرأها حماد صفح عن زلته وأعاده إلى رتبته." (حمدون, (1417), ج4 ص 121)

نماذج من بلاغة الكتابة في الشعر:

1/ ما قيل في الاستعطاف:

أتى أبو دلامة أبا جعفر المنصور وهو سكران, فأمر بحبسه في السجن, فلما أصبح وصح كتب إليه:

أمير المؤمنين فدَّتك نفسى علام حبستني وخرقت ساجي
أمن صهباء صافية المزاج كأن شعاعها لهب السراج
وقد طبخت بنار الله حتى لقد صارت على النطف النضاج
أقاد إلى السجون بغير جرم كأني بعض عمال الخراج
وقد كانت تخبرني ذنوبي بأني من عذابك غير ناج
على أني وإن لاقيت شراً لخيرك بعد ذاك الشر ناج

(التوحيدي, (1988), ج9 ص 29)

2/ ما قيل في الطلب:

قدم زياد الأعجم على طلحة الطحان بسجستان فأقام على بابه أربعين صباحاً, فلما طال كتب إليه:

ووردت السقاة المعطشون فأنهلوا ريّاً وطاب لهم لديك المكرع
وورت بحراً طامياً متدفقاً فرددت دلوي شنَّه يتقعقع
وأراك تمطر جانباًعن جانب ومحل بيتي من سمائك بلقع

(الزمخشري, (1412), ج3 ص 187)

3/ ما قيل في الاعتذار:

الرشيد لما بلغه أن الفضل بن الربيع عَليلٌ كتب إليه معتذراً عن تأخره في العيادة:

أعـذر عليَّ بأن تكـون عليلاً أو يكـون بـه السقـام نـزيلا

ولئن سئلت أجيب عنك بلوعة إذا قيل أوعك أو أحسّ غليلا

فوددت أني مـالك لسـلامتي فـأعيـرها لك بكـرة وأصـيلا

هذا أخ لك يشتكي ما تشتكي وكذا المحب إذا أحب خليلا

(يحي, (2008), 565)

ومن البلاغة في الكتابة شعراً ونثراً ذهب بعض الكتاب والشعراء بالتفنن, بأن يلزم نفسه بشرط في النثر أو الشعر زيادة على التزامه بضوابط البلاغة, جاء في كتاب الطراز عدد مها مثل: أولاً: أن يرجع التفنن إلى استخدام الكلمات منقطة الحروف وغير المنقطة يقول:

"1/ أن تكون الكلمات المتوالية معراه تماماً من النقط وهذا مثاله قول الحريري:

أعدد لحسادك حد السلاح وأورد الأمل ورد السماح

2/ أن تكون الكلمات كلها لا حرف فيها إلا وهو منقوط, ومثاله قول الحريري:

فتنتني فجننتني تجني بتجن يفتن غب تجني

(حمزة, (1423),ج1 ص68)

ثانياً: أن يرجع التفنن إلى استخدام كلمات ذات حروف متصلة أو منفصلة, يقول يحي بن حمزة العلوي:

"1/ أن تكون منفصلة مثاله ما قال بعضهم:

وزر دار زرزور وزر دار زاره ودار رداح إن أدرت دواء

2/ أن تكون متصلة كلها وهذا كثير كقوله: "فتنتني فجننتني تجني". (حمزة, (1423),ج1 ص68)

المصادروالمراجع

القرآن الكريم.

ابراهيم بن على بن تميم الحصري أبو اسحاق (1953م). زهر الآداب وثمر الألباب: - الناشر: دار الجيل - بيروت.

ابن حجة الحموي (2004م). خزانة الأدب وغاية الارب. تحقيق: عصام شقيو - الناشر: دار ومكتبة الهلال - بيروت - دار البحار- بيروت، ط1.

أبو العباس عبد الله بن محمد المعتز بالله بن المتوكل بن المعتصم العباسي (1990م). البديع في البديع: - الناشر: دار الجيل، ط1.

أبو الفتح نصر اللهبن محمد ضياء الدين ابن الأثير (1375ه). الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور. المحقق: مصطفى جواد. الناشر: مطبعة المجمع العلمي.

أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله (1414ه). أساس البلاغة: - تحقيق: محمد باسل - الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط1.

أبو الليث بحر بن محمد بن أحمد السمرقندي (1993م). بحر العلوم: - دار الكتب العلمية - ط1.

أبو بكر محمد بن الحسن ين دريد (1987م). جمهرة اللغة. تحقيق: رمزي منير بعلبكي. دار العلم للملايين- بيروت- ط1.

أبو حيان التوحيدي على بن محمد العباس (1988م).البصائر والذخائر. تحقيق: وداد القاضى. دار صادر - بيروت.

أبو على الحسن بن رشيق القيرواني (1981م). العمدة في محاسن الشعر وآدابه. تحقيق: محمد محى الدين عبد الحميد. الناشر: دار الجيل.

أبو هلال الحسن بن هلال بن سهيل بن سعيد (1419ه). الصناعتين. تحقيق: على البجاوي و محمد أبو الفضل ابراهيم - المكتبة العصرية - بيروت.

أبوبكر محمد بن يحي الصولي (1341ه). أدب الكاتب. صححه: محمد بهجة الأثري. مطبعة السلفية، مصر - المكتبة العربية.

أحمد بن ابراهيم بن مصطفى الهاشمي (1999م). جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع. ضبط وتوثيق: يوسف الصميلي - الناشر: المكتبة العصرية - بيروت.

أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن شهاب الدين النويري (1423ه). نهاية الارب في فنون الأدب. الناشر: دار الكتب والوثائق القومية - القاهرة - ط1.

أحمد بن على بن أحمد القلقشندي (2021م). صبح الأعشى في صناعة الانشاء. الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت.

أحمد حسن الزيات. مجلة الرسالة.

أحمد شوقي عبد السلام ضيف (2018م). الفن ومذاهبه في النثر العربي. الناشر: دار المعارف - ط 13.

إسماعيل بن حماد الجوهري (1987م). الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. تحقيق: أحمد بن عبد الغفور عطار - الناشر: دار العلم للملايين- بيروت- ط4.

أيوب بن موسى الحسيني أبو البقاء الحنفي (1419ه). الكليات. المحقق: عدنان درويش ومحمد المصري - الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت.

حسين بن محمد المهدي (2009م). صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال. راجعه: عبد الحميد محمد المهدي.

حيدر بن سليمان بن داود الحلبي. العقد المفصل في قبيلة المجد المؤثل. تحقيق: مضر سليمان الحلبي.

الخليل بن أحمد بن عمرو الفراهيدي (1985م). كتاب العين. تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي. الناشر: دار ومكتبة الهلال.

شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي (1404ه). العقد الفريد. دار الكتب العلمية، بيروت، ط1.

صدر الدين المدني, على بن أحمد بن محمد المعروف بعلى خان ابن معصوم. أنوار الربيع في أنواع البديع.

عبد الله بن المقفع (1937م). كليلة ودمنة: - الناشر: المطبعة الأميرية ببولاق – القاهرة، ط17.

عبد الملك بن محمد بن اسماعيل أبو منصور الثعالبي (1997م). الاعجاز والايجاز. مكتبة القرآن، القاهرة.

عبد الملك بن محمد بن اسماعيل أبو منصور الثعالبي. اللطائف والطرائف. الناشر: دار المناهل - بيروت.

عماد الدين الكاتب الأصبهاني محمد بن محمد صفى الدين (1955م). خريدة القصر وجريدة العصر. تحقيق: محمد بهجة الاثري - مطبعة المجمع العلمي العراقي – ط1.

عمر بن شيبة وأسمه زيد بن عبيدة بن ربطة (1399ه). تاريخ المدينة. حققه فهيم شلتوت.

عمرو بحر بن محبوب أبو عثمان الشهير بالجاحظ (1414ه). الحيوان. دار الكتب العلمية - بيروت.

عمرو بحر بن محبوب أبو عثمان الشهير بالجاحظ (1423ه). البيان والتبيين. الناشر: دار ومكتبة الهلال - بيروت.

عمرو بحر بن محبوب أبو عثمان الشهير بالجاحظ (1964م). رسائل الجاحظ. تحقيق: عبد السلام محمد هارون - الناشر: مكتبة الخانجي - القاهرة.

لبيد بن ربيعة العامري (1999م). ديوان لبيد. دار صادر - بيروت.

محمد بن الحسن بن حمدون (1417ه). التذكرة الحمدونية. الناشر: دار صادر - بيروت - ط1.

محمد بن عبد الرحمن بن عمر جلال الدين القزويني (1971م). الايضاح في علوم البلاغة. تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي - الناشر: دار الجيل - بيروت - ط3.

محمد بن مكرم بن على جمال الدين بن منظور (1414ه). لسان العرب. الناشر: دار راصد - بيروت - ط3.

محمد بن يزيد المبرد أبو العباس (1997م). الكامل في اللغة والأدب. المحقق: محمد أبو الفضل ابراهيم - الناشر: دار الفكر العربي - القاهرة - ط3.

محمد بن يوسف الصالحي (1993م). سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد. تحقيق: عادل عبد الموجود و على معوض - الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.

مصطفى لطفى المنفلوطى (1982م). النظرات. الناشر: دار الآفاق الجديدة - ط1.

نصر الله بن محمد بن عبد الكريم ضياء الدين المعروف بابن الأثير (1420ه). المثل السائر في أدب الكاتب. تحقيق: محمد محى الدين عبد الحميد - المكتبة العصرية للطباعة والنشر - بيروت.

يحي بن حمزة بن على بن ابراهيم العلوي (1423ه). الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز. الناشر: المكتبة العصرية– بيروت.

عطية حسين أفندي (2023م). بوابة الأهرام http://gateahram.org- الأربعاء 2023/5/25م, العدد 49723.

عبد الرحمن بودرع - المكتبة الاسلامية 2023 - 1998م - islamweb.net

السيد مسعود (2020م). البلاغة في الكتابة. شبكة المدارس الاسلامية 2020/4/24م www.madarisweb.com